

الباب السادس

﴿ في تاريخ علوم البلاغة ﴾

المعاني والبيان والبديع

بعد ما نظر علماء السلف في كلام العرب من جهة صحته ودونوا لذلك النحو تتبعوا كلام البلغاء منهم فرأوا ان تراكيبه تتفاوت بهيات وخواص تدل على معان ثانوية زائدة عن اصل المعنى فاستنبطوا من ذلك اصولاً دونوها ونوعوها الى ثلاثة علوم الاول يبحث فيه عن الخواص والهيات التي تقتضيها المقامات والاحوال وسموه علم البلاغة او المعاني والثاني يعرف به ايراد المعنى الواحد بعبارات مختلفة في وضوح الدلالة عليه وسموه علم البيان وان شئت قلت هو علم يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية والثالث يبحث فيه عن وجوه تكسو الكلام حسناً وسموه البديع وقد سمو العلوم الثلاثة تارة بالبديع وتارة بالبيان وتارة بعلوم البلاغة ومسائل هذه الفنون لم تجيء دفعة واحدة بل تلاحقت واحدة بعد اخرى ثم رتبنا اخيراً

ويظهر ان ابا عبيدة المتوفى سنة ٢٠٦ هو اول من صنف في المجاز فانه لما سئل بمجلس الفضل بن الربيع عن التشبيه في قوله تعالى طلعتها كأنه رؤس الشياطين واجاب بانه كقول امرئ القيس :

أيقنتنى والمشرقى مضاجى ومسنونة زرق كاياب اغوال
كان هذا سبباً فى ان يضع كتاباً فى مجاز القرآن وقد سبق بسط ذلك فى
تارىخ النجو

وعبدالله بن المعتز العباسى المتوفى سنة ٢٩٦ اول من كتب فى البديع
فانه جمع من وجوهه سبعة عشر نوعاً وقال فى كتابه وما جمع قبلى فنون
البلاغة احد ولا سبقنى اليه مؤلف ومن احب ان يقتدى بى ويقتصر على
ما اخترعناه فليفعل ومن رأى اضافة شىء من المحاسن اليه فله اختياره
وعاصره قدامة الكاتب فجمع منها عشرين نوعاً توارد معه على سبعة منها
وسلم له ثلاثة عشر فتكامل لهما ثلاثون ثم جمع ابو هلال العسكرى المتوفى
سنة ٣٩٥ سبعة وثلاثين فى كتابه المسنى بالصناعتين ثم جمع مثلها ابن
رشيق القيروانى المتوفى سنة ٤٥٦ فى كتابه المسمى بالعسمة ثم اوصلها
عبدالعظيم ابن ابى الاصبغ العدوانى المصرى المتوفى سنة ٦٥٤ الى التسعين
فى كتاب سماه تحرير التعبير فى علم البديع . ثم جاء صفى الدين عبدالعزيز
الحلى المتوفى سنة ٧٥٠ ونظم قصيدة طويلة فيها ١٤٠ نوعاً باعتبار اصناف
التجنيس نوعاً واحداً وجعل كل بيت منها مثلاً لنوع وذكر اسم النوع
البديعى الى جانب البيت وسماها الكافية البديعية ثم شرحها شرحاً لطيفاً
ثم حذا الناس حذوه ونظموا بديعيات . منها بديعية عن الدين الموصلى
المتوفى فى حدود سنة ٨٠٠ ما تزموا فى البيت ذكر اسم النوع وشرحها
شرحاً وافياً وتسمى بالفتح الآلى فى . طارحة الحلى . ومنها بديعية شرف
الدين اسمعيل اليمنى المعروف بابن المقرئ المتوفى سنة ٨٣٧ جمع فيها ١٥٠
نوعاً من انواع البديع . وبديعية الشيخ ابى بكر على المعروف بابن حجة

الحموى المتوفى سنة ٨٣٧ وتعرف بحزارة الادب وشرحها والمولى الناصر هو الذى رسم له بنظمها ملترماً فيها تسمية النوع ومجارياً فيها الصنف الحلى وكان يشيد البيت في رسم له بهدمه ويقول له بيت الصنف اصنى مورد أفيعيد النظم الى ان يحكم له بالسبق كذا ذكر في خطبة الشرح ، ومنها بديعية عائشة الباعونية الدمشقية المتوفاة سنة ٩٢٢ وتسمى بالفتح المين وقد شرحتها شرحاً مختصراً والشرح مطبوع مع شرح بديعية ابن حجة سنة ١٣٠٤ فى المطبعة الخيرية بالقاهرة . ومنها بديعية عبد الغنى النابلسى المتوفى سنة ١١٤٣ المسماة نسبات الاسحار وقد شرحها شرحاً جليلاً متقناً سماه نفحات الازهار اتى فى خطبته على ذكر البديعيات الاربع السابقة وعاب بديعيتى الموصلى وابن حجة وقد طبع الشرح بمطبعة بولاق سنة ١٢٩٩

(والشيخ عبد القاهر الجرجانى) المتوفى سنة ٤٧١ ألف كتاب دلائل الاعجاز واسرار البلاغة فى المعانى والبيان ومن كلامه : ان الكلام الذى يدق فيه النظر ويقع به التفاضل هو الذى تدل بلفظه على معناه اللغوى ثم تجدد لذلك اللفظ دلالة ثانية على المعنى المقصود فهناك الفاظ ومعان اول ومعان ثوان

(وابو يعقوب يوسف السكاكى) المتوفى سنة ٦٢٦ ألف كتاب مفتاح العلوم قال فى مقدمته « اعلم ان علم الادب متى كان الحامل على الخوض فيه مجرد الوقوف على بعض الاوضاع وشيء من الاصطلاحات فهو لديك على طرف الثمام أما اذا خضت فيه لهمة تبعثك على الاحتراز عن الخطأ فى العربية وسلوك جادة الصواب فيها اعترض دونك منه انواع نلقى لأدناها عرق القرية لا سيما اذا انضم الى همتك الشغف بالتلقى لمراد

الله تعالى من كلامه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهناك
يستقبلك منها ما لا يبعد ان يرجعك القهقري وكأني بك وليس معك من
هذا العلم الا ذكر النحو واللغة قد ذهب بك الوهم الى ان ما قرع سمعك
هو شئ قد افترعته عصبية الصناعة لا تحقيق له والا فمن لصاحب علم
الادب بانواع تعظم تلك العظمة الكنك اذا اطلمت على ما نحن مستودعوه
كتابنا هذا مشيرين فيه الى ما تجب الاشارة اليه وان يتم لك ذلك الا
بعد ان تركب له من التأمل كل صعب وذلول علمت اذ ذلك ان صوغ
الحديث ليس الا من عين التحقيق وجوهر السداد »

وقد قسم المفتاح الى ثلاثة اقسام الاول في الصرف والثاني في النحو
والثالث في علوم المعاني والبيان والبديع وعرف المعاني بانه تتبع خواص
تراكيب الكلام في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز
بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره قال
واعني بتراكيب الكلام التراكيب الصادرة عن له فضل تمييز ومعرفة
وهي تراكيب البلغاء لا الصادرة عن سواهم لزولها في صناعة البلاغة
واعني بخاصية التركيب ما يسبق منه الى الفهم عند سماع ذلك التركيب
وعرف البيان بأنه معرفة اراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في
وضوح الدلالة عليه او بالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في
مطابقة الكلام تمام المراد منه وقد طبع بالمطبعة الادبية بالقاهرة سنة
١٣١٧ للهجرة .

وقد شرح القسم الثالث من المفتاح العلامة محمود بن مسعود
الشيرازي المتوفى سنة ٧١٠ وسمى شرحه مفتاح المفتاح . وشرحه ايضاً

السيد الشريف علي الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ ولخص هذا القسم محمد ابن عبد الرحمن القزويني خطيب دمشق المتوفى سنة ٧٣٩ وسمى كتابه تلخيص المفتاح ثم وضعه في كتاب سماه ايضاح المعاني والبيان وضم اليه ما خلا عنه مما تضمنه المفتاح مع زيادات من دلائل الاعجاز واسرار البلاغة وقد شرح التلخيص مسعود بن عمر التتازاني المدعو بسعد المتوفى سنة ٧٩١ شرحاً واسعاً سماه المطول ثم اختصر المطول في شرح يعرف بمختصر السعد . وقد شرح التلخيص ايضاً عصام الدين ابراهيم الاسفراينى المتوفى بسمرقند سنة ٩٥١ وقيل سنة ٩٤٥ وسمى شرحه بالاطول . وقد اخذ شواهد التلخيص الشيخ عبد الرحيم العباسي المتوفى سنة ٩٦٣ وبني عليها كتاباً جليلاً في الادب يشبه خزانة الادب للبغدادى وسماه معاهد التنصيص . وشروح التلخيص الثلاثة السابقة تقرأ بالازهر بعد كتب النحو وقد اكثر العلماء من الحواشى على شرحى التتازاني . فمنها على المطول حاشية السيد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ . وحاشية حسن چلبى الفنارى المتوفى سنة ١٨٦٦ وحاشية عبد الحكيم الهندى المتوفى سنة ١٠٦٧ ومنها على المختصر حاشية احمد بن يحيى حفيد السعد المتوفى سنة ٩٠٦ وحاشية محمد الحفنى المتوفى سنة ١١٨١ وحاشية الشيخ محمد الدسوقي المتوفى سنة ١٢٣٠ و ابو الليث السمرقندى من علماء النصف الثانى من القرن التاسع صنف متنّاً فى الاستعارات يعرف بالسمرقندية يقرأه الطلاب المبتدئون وقد كتب عليه كثير من العلماء . فمن ذلك شرح العصام وشرح احمد الملوى المتوفى سنة ١١٨١ وحاشية الشيخ حسن العطار المتوفى سنة ١٢٥٠ وحاشية الشيخ ابراهيم الباجورى المتوفى سنة ١٢٦٧ . وعلى شرح العصام

حاشية لخصيه الشيخ علي المتوفى بمكة سنة ١٠٠٧ وحاشية للشيخ محمد الصبان المتوفى سنة ١٢٠٦ وعلى شرح الملوي حاشية للشيخ محمد الامير المصري المتوفى سنة ١٢٣٢ وحاشية للشيخ محمد الدهموري فرغ من تأليفها سنة ١٢٣٣ وحاشية للشيخ محمد الخضري الدمياطي المتوفى سنة ١٢٨٨

ومحمد بن الشحنة التركي المتوفى سنة ٨١٥ بحاج له منظومة في المعاني والبيان والبديع وهي مائة بيت ولذا يقال لها مائة المعاني والبيان . ولحمد ابن عبد الحق الطراباسي شرح عليها سماه درر القوائد المستحسنة فرغ من تأليفه سنة ١١٠٩ ولمحمد بن العزى شرح عليها ايضاً سماه مواهب الرحمن فرغ من تأليفه سنة ١١٣٤

وجلال الدين عبدالرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١ له أرجوزة سماها عقود الجمان في علم المعاني والبيان قال فيها :

وهذه أرجوزة مثل الجمان ضمنها علم المعاني والبيان
لخصت فيها ما حوى التلخيص مع ضم زيادات كما مثال العم
وقد شرحها شرحاً حسناً

والشيخ عبد الرحمن الاخضري له منظومة ايضاً سماها الجوهر المكنون في الثلاثة فنون فرغ من نظمها سنة ٩٥٠ وعليها شرح خلية اللب المصون تأليف الشيخ احمد الدهموري المتوفى سنة ١١٩٢ والشيخ مخلوف حاشية على هذا الشرح فرغ من تأليفها سنة ١٢٦٥

والشيخ محمد الصبان المتوفى سنة ١٢٠٦ له كتاب في البيان يعرف بالرسالة البيانية . وللشيخ محمد عيش المصري المتوفى سنة ١٢٩٩ حاشية

عليها وكذا للشيخ مخلوف حاشية عليها وقد طبعت سنة ١٢٨٥ بالمطبعة
الوهبية بمصر وايضاً للشيخ محمد الانباني حاشية كبيرة عليها طبعت بهولاق
سنة ١٣١٥

والشيخ حسين المرصفي من اساتذة المدارس المصرية له كتاب جليل
في فنون الادب يسمى بالوسيلة الادبية وقد طبع سنة ١٢٨٩ بمطبعة
المدارس الملكية وكان رحمه الله مع كونه بصيراً واسع الاطلاع في الادب
حسن المحاضرة والنواتر قرأت عليه كتابه هذا بمدرسة دار العلوم وقد
جاء في مقدمته ما نصه « اعلم ان هذه الفنون وغيرها من علوم العربية كما
سبقت الاشارة اليه انما تحصلت لباذلي همهم في تحصيلها بتتبع الكلم
العربي يسمونه منهم ويروونه عنهم واول من تنبه لاستخراج هذه الفنون
واتخاذها معياراً لصناعة الكلام حسب ما تقتضيه الشعرا والشهيران
مسلم بن الوليد وابو تمام حبيب بن اوس الطائي ولكن لم يدونها وانما كانا
يتحدثان بها ويسميانها البديع ولما اكثرنا من استعمال مقتضياتها وتبعها بعض
شعراء ذلك العصر غالب ميلهم مع زخرفة الالفاظ اخذ الشعر هيئة غير
هيئته العربية حتى ان فحول الشعراء اذ ذاك كانوا يقولون قد افسد هؤلاء
الشعر بذلك الشيء الذي يسمونه البديع ولم يزل يتزايد الحديث في ذلك
الى ان جاء عبد الله بن المعتز وقدمه الكاتب فوضع كل منهما موضوعاً
لطيفاً ثم اتسع القول فيه بعد واقبل عليه كتاب الانشاء وسموه البيان
وهذا النموذج تأليف الاوائل في هذه الفنون ابتداءً بعضهم كتابه بقوله :
« البلاغة على عشرة اقسام الایجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل
والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان » ثم اخذ في بيان كل

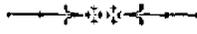
منها والاستشهاد عليه وذكر تفاوت البناء فيه ولما اتسعت دائرة القول في العلوم الفلسفية بين المسامحين حتى افضى بهم التكلم في تخليص العقائد الاسلامية وازاحة الشبه عنها الى كشف حقيقة النبوة وبيان جهة اعجاز القرآن رأى الناس نفع هذه الفنون في معرفة اعجاز القرآن الذى هو برهان الدين الحق فصارت من العلوم الدينية واشتغل بها طائفة من الناس واكثروا فيها من التأليف واوهم الشيخ عبدالقاهر وبجسب اختلاف جهات البحث ميزوا الفنون وخصوا كلا بلقب وهى ثلاثة فنون فن يبحث عن الالفاظ من حيث كونها مستعملة فى معانيها التى وضعت لها او فيما يناسبها اعتماداً على المناسبات وسموه فن البيان وفن يبحث عن المركبات من حيث تختلف صورها لاختلاف الاغراض منها وسموه فن المعانى وفن يبحث عن احوال تعرض للكلام فتكسبه حسناً وسموه البديع » اه

والشيخ محمد الليسيونى من علماء الازهر واساتذة المدارس له كتاب فى العلوم الثلاثة سماه حسن الصنيع وقد طبع بمطبعة ديوان المعارف سنة ١٣٠١ وكان يقرأ بمدرسة الحقوق

والشيخ محمود العالم المنزلى من علماء الازهر واساتذة المدارس المتوفى حوالى سنة ١٣١٠ له كتاب جمع فيه خمسة علوم الصرف والنحو والمعانى والبيان والبديع وسماه انوار الربيع وقد طبع فى مطبعة بولاق سنة ١٣٠٢ وكان يقرأ بالمدارس التجهيزية

والشيخ الفاضل هارون عبدالرزاق من علماء الازهر واساتذة المدارس له كتاب حسن الصياغة فى فنون البلاغة طبع بالمطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٨٨٩ للميلاد وهو رسالة صغيرة كانت تقرأ بالمدارس

وقد ألفنا أنا وحفنى بك ناصف ومحمد افندى سلطان والشيخ
مصطفى طوموم كتاب دروس البلاغة لتلامذة المدارس التجهيزية يقرأ
بعد كتبنا النحوية السابقة وقد طبع بالمطبعة الاميرية سنة ١٣١٠



الباب السابع

« في تاريخ المحاضرات »

كانت سوق الادب رائجة في عهد خلفاء بني امية في الشام والاندلس
وخلفاء بني العباس في العراق اذ كانوا يقربون من مجالسهم اديباء عصرهم
ليحدثوهم بما يروح نفوسهم ويشرح صدورهم من قصص نوادر غريبة
واخبار عجيبة وانشاد اشعار رقيقة وعلى سننهم جرى عملهم في الامصار
فكان الاديب يبذل وسعه في تعرف انباء السالفين والحاضرين وحفظ
اشعارهم واستحضار ملحمهم ولطائفهم ليكون ذا اطلاع واسع واقتدار بارع
على ان يحضره بدهاة في مجالس الخليفة او الامير ما يقتضى الحال ذكره
لينال منه كذا جائزة وقد دونوا لهذا الغرض مصنفات تجمع نوادر واخباراً
وملحاً واشعاراً وغيرها وسموا معرفة ذلك بعلم المحاضرات وهو لا ريب نوع
خاص من علم التاريخ

واساس هذا العلم على ما يقال كتاب (كلىة ودمنة) الذى ترجمه
الى العربية عبدالله بن المقفع كاتب الخليفة ابى جعفر المنصور العباسى المتولى